Al Jinan الجنان

Volume 6 Article 2

2014

لغتنا الزاهرة

Abdulmoneam Bchennaty
Jinan University, dr.bchenati@gmail.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan

Part of the Arabic Studies Commons

Recommended Citation

Bchennaty, Abdulmoneam (2014) "لغتنا الزاهرة," *Al Jinan الجنان*: Vol. 6 , Article 2.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan/vol6/iss1/2

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Al Jinan الجنان by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, dr_ahmad@aaru.edu.jo.

الأستاذ الدكتور عبدالمنعم بشنّاتي
رئيس قسم اللغة العربيّة وآدابها والدراسات الإسلاميّة
جامعة الجنان

لغتنا الزاهرة

الزاهـرةُ لغةً: «زَهَرَ» الزَّاي والهاء والراء أصل واحد يدل على حُسْنٍ وضياء وصفاء... وكان بعضُهـم يقول: النور الأبيـض.[1] و«الأزهر»: كل لون أبيضَ صافٍ مُشْـرِقٍ مُضيءٍ. و«زَهَرَ» الوجهُ والسِّـراجُ والقمر - زَهْراً وزُهوراً: تلألأ وأشرق.[2] وقال الأزهري: وزَهْرَة الدنيا: حُسْنها وبَهْجَتُها. وشجرةٌ مُزْهِرَةٌ، ونباتٌ مزهِرٌ. والزُّهور: تلألُؤ السِّراج الزاهر.[3]

ومعنـى لغتنا الزاهـرة: النامية المشرقـة والمتلألئة بالبيـان والمعاني البلاغيَّـة والألفاظ الفصيحة، ذات الخصائص المتميِّزة.

نـزل القرآن الكريـم، فحَفِظَ الله به العربيةَ الفُصْحى، التي هَـدَى بها العرب إلى دين الله، بلسان عربي مبين، واللغة العربية قادرة أن تَمْثُلَ أمام الحضارات لترفع عن نفسها اللّثام في تأدية دورهـا الثقافـي والعلمي على أَكْمَلِ وَجْه، وهـي ما زالتْ باستطاعتِها أن تسيـر قُدُماً بالأمَّة، فليس تخلُّف الأمّة نُطْقَها بلغة القرآن الكريم، كما يدّعي دُعاةُ العاميَّة.

واللغـة العربيّة ارتبطتْ بها إضاءة التفكير العربي، مع فجر الإسلام، وأخذ العربيُّ والعلماء يتفكرون في خَلق السماوات والأرض من خلال كتاب الله عزّ وجلّ، فَطَفِقُوا يؤلِّفون فيما يلاحظونه فـي القـرآن الكريم من ظواهـر لغويَّة، وإعجازٍ بيانـي، وما في المعاني من أَسْـرارٍ، وما في جمال الأسلـوب مـن روائع الصَنْعَةِ البَديعـة، وما لكل حرف من تأثير، وما للتقديـم والتأخير من أَثَرٍ في المعنى، فجمع علماءُ اللغة مفرداتِها من فصحاء العرب الخُلّص بمُشافَهَتِهم ومحاورتهم، فوضعوا في مرحلة متقدِّمة من الحضارات أسمى قواعد العلوم اللغوية والدينية لارتباطهما عقلاً ودِيناً.

قـال عابدين: اتصل الدين باللغـة اتصالاً وثيقاً في العصور الإسلاميـة كلّها، وكان الباعث

١- مقاييس اللغة «زهر» ٣/٣١.

٢- الوسيط «زهر» ١/٤٠٤.

٣- تهذيب اللغة «زهر» ٦/١٤٧.

على اهتمام علماء اللغة بجمع الشواهد اللغوية وتقعيد اللغة، باعثاً دينياً، هو ضبط نصوص القرآن الكريم، وتعليم الطلاب لغة القرآن الكريم، وجَرَتْ مناهج التعليم منذ أقدم العصور الإسلامية، على المَزْج بين المعارف الدينيّة واللغويّة، في الكتاتيب والمساجد والمجتمعات، ثم في المدارس المنظمة فيما بعد، ومن ثَمَّ كان اللُّغَوِيُّ -غالباً- رجل دين، ولا ترى عالماً من علماء اللغة القدامى إلا قد كان مقرئاً أو مفسراً، أو محدثاً، أو متكلماً، أو فقيها[١].

وما تأليف الأزهريّ لتهذيب اللغة إلا خطوة للمحافظة على لغة القرآن الكريم، قال: «وكان من النصيحة التي التزمْتُها توخِّياً للمَثُوبَةِ من الله عليها، أن أنضح عن لغة العرب ولسان العربيّ الذي نزل به الكتاب، وجاءت به السنن والآثار، وأن أهذِّبها بجهدي غاية التهذيب»[٢].

وقد صَفَتْ العربية الفصحى من اللهجات العربية المذمومة، إذ لم يُرْوَ عن اللهجات المذمومة أن القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف والشعر العربي الفصيح وهي مصادر لغوية هامة أنها أخذت بها، ولشدّة الحرص على صفاء اللغة كانت تؤخذ من مَظَانِّها ومصادرها «وتؤخذ سماعاً من الرُّواة الثِّقات ذوي الصدق والأمانة، ويُتَّقَى المَظْنُون»[٣].

وقد عقد أحمد بن فارس باباً في اللغات المذمومة[٤]، تنبيها لمن يجمع اللغة، وسماه السيوطي «معرفة الرديء المذموم من اللغات» ومما قاله عن الفراء: «كانت العرب تحضر الموسم في كل عام، وتحجُّ البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلّموا به؛ فصاروا أفصح العرب؛ وخَلَتْ لغتهم من مُسْتَبْشَعِ اللغات، ومُسْتَقْبَح الألفاظ»[٥].

وعقد ابن فارس باباً بعنوان: «بابٌ في أفصح العرب» بيّن فيه اهتمام العرب وقريش بصفاء لغتهم الفصحى، فقال: «وكانت قريش - مع فصاحتها وحُسْن لغاتها ورِقَّة ألسنتها - إذا أَتَتهم الوفود من العرب، تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسنَ لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب»[٦] فتكونت اللغة العربية المشتركة من مجموع لهجات العرب الفصيحة، بعد نبذ ما في اللهجات من مذموم، فكانت قريش أفصح العرب.

١- المدخل إلى دراسة النحو العربي، ص ١٠٣.

٢- تهذيب اللغة ٦/١.

٣- الصاحبي، ص ٤٨.

٤- الصاحبي، ص ٣٥.

٥- المزهر ٢٢١/١.

٦- الصاحبي، ص ٣٣.

ويـرى الدكتور عصام نور الديـن أن ما قاله الرجل الجرميّ عن فصاحة قريش أمام معاوية بـن أبي سفيان إنمـا كان تزلفاً لمعاوية، عندما ردّ على سؤال معاويـة: من أفصحُ العرب؟ فأجاب الجرميّ: قوم ارتفعوا عن لخلخانيّة الفرات... الخ، إنهم قومك يا أمير المؤمنين، قريش[١].

والناظـر في نصوص أقـوال ابن فارس يفهم أن قريشاً كانت تأخـذ اللغة السليمة من قبائل فصيحـة وتتـرك ما عندها من خصال مذمومة، وليس معنى ذلـك أنَّ غَيْرَ قريشٍ ليسوا فصحاءَ، فقـد أُخِـذَتْ اللغة من عُلْيا هوازن وهـي خمس قبائل أو أربع، منها: سعد بـن بكر، وجُشَم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثَقِيف، وسُفْلى تميم[٢].

وقال السيوطي: قال أبو نصر الفارابي في أول كتابه «الألفاظ والحروف»: كانت قريشٌ أجودَ العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبْيَنَها إبانةً عمّا في النفس، والذين عنهم نُقلت اللغة العربية وبهم اقتُدِي وعنهم أُخِذ اللسان العربيّ من بيـن قبائل العرب وهم: قيـس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء، هم الذين عنهـم أكثر ما أُخِذ ومعظمه، وعليهـم اتُّكِل في الغريب وفي الإعـراب والتصريف، ثم هُذَيْل وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يُؤْخَذْ عن غيرِهم من سائر قبائلهم[٣].

واللغة العربية قديمةٌ قِدَمَ الإنسانية، فكان موطنها في الجزيرة العربية، وَسْط العالم القديم المعـروف تاريخياً، فجـاورت السريانية والفينيقية فـي الشام، والآشوريـة والكلدانية في العراق، والهيروقليفيـة للمصرييـن، والحبشية على الساحل الشرقي لأفريقيا علـى البحر الأحمر، وكانت هذه اللغات متشابهة، ولعلها كانت لهجات للغة قديمة.

وقـد وضع د.علي عبـد الواحد وافي عنوانـاً: احتكاك العربيـة بأخواتها الساميـة وغيرِها، وصراعُها معها وآثارُ ذلك[٤]. فبيّن تَوَثُّقَ العلاقات بين العرب وجيرانهم والآراميين في الشمال عن طريـق التجارة والهجرة والرحلات، وامتزاج بعضـ القبائل الآرامية بالعالم العربي، وبَيَّنَ اتصالَ العـرب مـع اليمنيين في الجنوب في رحـلات التجارة، واحتكّت العربية بعـد الإسلام مباشرة في بلاد سورية ولبنان والعراق، بالآراميّة، ومع القبطيّة بمصر، ومع البربريّة في شمال إفريقية، ومع التركيّـة ببلاد مغول، ومع القوطيـة بإسبانيا، ولم يقف أمر نفوذ العربية عند هذا الحدّ بل تجاوزه إلى جميـع الأمم الإسلامية (باكستان، الهنـد، أفغانستان، تركستان، الكـرد، بخارى..) فأُنزلت

١- انظر محاضرات في فقه اللغة، د. عصام نور الدين، ص ٨٣.

٢- انظر الصاحبي، ص ٤١.

٣- المزهر ١/٢١١.

٤- انظر: فقه اللغة: د. علي عبد الواحد وافي، ص ١٢٧ وما بعدها.

العربيــة عند هذه الأمم منزلة الاحتــرام والتقدير، لأنها لغة القرآن الكريم والحديث اللذيّن يقوم عليهمــا الدين الإسلامي. وأُتيح للغــة العربية في أثناء الحروب الصليبيّة فرص الاحتكاك باللغات الأوروبية الحديثة، فاقتبست منها هذه اللغات كثيراً من المفردات.

خصائص اللغة العربية:

نشــأت اللغة العربيــة المشتركة في مكــة المكرمة، ونتيجــة لتوحد اللغة العربيــة تحت راية الفصحى المشتركة، وقد تميَّزَت اللغة العربيّة أنها فوق مستوى العامة، فالعامة لا يصطنعوها في لغتهم، فاللغة العربية التي وردت بها النصوص والآثار الأدبية - شعراً أو نثراً - لم تكن في متناول جميــع العــرب بل كانت في مستــوى أرقى وأسمى، أما النصــ القرآني باعتباره نصــاً عربياً فكان أسلوبه إعجازاً وتحدّياً لخاصة العرب.

والميزة الثانية: أن اللغة المشتركة لا تنتمي صفاتها إلى بيئة محلية بعينها، فاللغة المشتركة ليســت لغةُ قبيلةٍ واحــدة، ولا تتضمن شيئاً مــن خصائص اللهجات المذمومــة، وهي ليست لهجةُ قبيلةٍ واحدةٍ، بل هي مزيجٌ من لهجات فصحاء العرب[1].

وإذا كانــت اللغــاتُ أداةَ نقــلِ الأفكار واتصالٍ بيــن المتكلمين بها ـ واللغــة العربية كذلك ـ أصبحــت الفصحى لغة فكر تسمو إلى أرقى اللغات المتحضّرة، حيث نزل بها القرآن الكريم فكان إعجــازه لغويــاً وفكريّاً -إلى جانب ما فيه من إعجاز- ، فأخذت العربيــة من القرآن الكريم القِيَم والمبادئ الإسلامية، وهي ما أقرّتْها المجتمعات والأفكار الإنسانيّة.

والأمر الثالث: اللغة العربية تميّزت بالعبارات والأساليب المتنوّعة، الموزونة شعراً إلى جانب القافية، والمرصّعة والمجانسة نثراً، والتلاعب بالألفاظ مثل: التورية والكناية، وأساليب التصريح والمجاز والإيجــاز والحقيقة، وأسلوب القصر والفصل والوصل، والتشبيه والاستعارة، وهذه أمثلة قليلة مما ورد في علوم البلاغة: البيان، المعاني، البديع.

أظهــرت هذه الأساليب البلاغيّة قــدرة اللغة العربيّة على التعبير عن معانٍ جميلة ورائعة في الجملــة العربيــة، لا يتسنى للغة أخرى أن تُعْرِبَ عن الأفكار والأحاسيس والشعور؛ ما ملكت التعبير عنه اللغة العربية.

فمــن روائع علــم المعاني وجود علاقــة ذهنيّة - عنــد السامع لموضوع ما - بيــن الموضوع والمحمــول، أو المسند إليه، والأصل أن تُذكر العلاقة كتابة أو نطقاً، وفي اللغة العربية يكفي وجود العلاقــة الذهنيّة، ولا ضرورة إلــى التصريح بهذه العلاقة، فنحن نقــول: الرجل شجاع، ولا نقول:

١- أنظر: فقة اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٦٥وما بعدها.

الرجل الموجود شجاع.

والمسألــة الرابعة: فإن اللُّغةَ العربيّة لُغَةُ الإعراب، القاعدة العربية النحوية والصرفية، ولم تكـن في العصر الجاهلي هذه القواعد معروفـة، وإن كان العربيّ لا يخرج عن أصولها في الكلام، وكان يتحـدّث بِفِطْرَتـه، ويحاور علـى سجيّته، ويتكلم بِسَليقَتـه التي جُبِلَ عليهـا، فمَلَكَتُهم اللغويّة العربيّة وقانونهم، ومعلّمهم البيئة القبلية الخالصة من اللُّكْنَة والهُجْنَة، ومع ظهور الإسلام اختلط العرب بالقِبْطِ والرّوم والفرس وغيرهم، فانتشر اللَّحْنُ على لسانهم، مما أثار ذلك رجال العربية والغَيَارى على لغـة القرآن الكريم لأنْ يضعوا القواعد النحوية والصرفية، صيانةً للسانهم وحمايةً للغتهم.

يقـول ابن خلدون: «وخَشِـيَ أهلُ العلوم منهم أنْ تَفْسَدَ تلك المَلَكَـةُ رأْساً، ويطول العهد بها، فينغلق القرآن والحديث على القوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانينَ لتلك الملكة المُطَّرِدة، شِبْه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام»[1].

ويقول أيضاً: «وإنما وقعت العناية بلسان مُضَر، لَمَّا فسَدَ بمخالطتهم الأعاجم، حين استولوا علـى ممالك العراق والشـام ومصر والمغرب، وصارت مَلَكَتُهم على غيـر الصورة التي كانت أولاً، فانقلبت لغة أخرى»[2].

وفـي مطلع القـرن الثاني من الهجرة برز اسـم الخليل بن أحمد في البصـرة، وتلاه تلميذه سيبويـه، عبْقَرِيًّـا القاعدة اللغويـة النحوية، والأخفش الأكبر، وفـي الكوفة الرُّؤَاسـي والكِسَائي وغيرهم، فقَعَّدا اللغةَ، فكانت القواعد النحوية والصرفية تحت مسمى: النحو.

درس علماء العربية: الاسم المبني، والمعرب، والمُنَكَّر والمعرّف، وأنواع المعارف، والمفرد، والمثنّى، والجَمْع، وأنواع الجُمُوع، والأسماء الجامدة والمشتقة، وأنواع المشتقات وعملها، والأسماء المرفوعة بالضرورة (المبتدأ والخبر، والفاعل ونائبه) والأسماء المنصوبة (المفاعيل وملحقاتها والتمييـز والاستثناء والمنادى) والأسماء المجـرورة بالإضافة، والأسماء التابعة (النعت والتوكيد والعطف والبدل).

كمـا درس علماء العربية أنواعَ الأفعال: الماضي والمضارع والأمر والمبني والمعرب واللازم والمتعدي الذي يطلب مفعولاً واحداً والذي ينصب أكثر من مفعول، والأفعال التي لا تكتفي بمرفوع: الأفعـال الناسخة، كان وأخواتها، وأفعال المقاربة وأشباهها، وأفعال التَّعَجُّب وفِعْلَيْ المدح والذم،

١- المقدمة، لابن خلدون، ص ٦٣٩ وانظر صفحة ٦٤١.

٢- المرجع نفسه، ص ٦٥١.

وإسنادها إلى الضمائر.

ولأن اللغة «اسمٌ وفِعْلٌ وحرفٌ» فقد درس علماء اللغة أثر الحرف العامل وغير العامل، والزائد وشبهه، والحروف - الجر- التي تعمل في الأسماء، والحروف التي تعمل في الأفعال -النصب والجزم- والحروف التي تعمل في فعلين -حروف الشرط- والحروف التي تعمل في الجمل الإسمية -الداخلة على المبتدأ والخبر- إنَّ وأخواتها وأسبابها، ونونَيْ التوكيد... وغير ذلك كثير.[1]

وإلى جانب القاعدة النحوية درسوا علم الصرف، فدرسوا المشتقات، الصحيح والمعتل والمقصور والمنقوص، والممدود، والأسماء الخمسة، والمنوّن «المصروف» وغير المنوّن «الممنوع من الصرف» والمصغّر والمنسوب، والإبدال والإعلال، والمصادر، والقلب، وإدغام الحروف وفكّها، والجموع بأنواعها والتعويض، وغير ذلك كثير.

وقد بقيَتْ مسألة الإعراب قضية العربية الكبرى طوال العصور المتعاقبة، وما زالت كذلك، فاحتفظت اللغة العربية الفصيحة بظاهرة الإعراب، وهي من صفات العربية المُوغِلَة في القِدَم، في حين أن سائر اللغات السامية -ما عدا الأكادية- قد فقدت هذه الظاهرة منذ أقدم العصور.[2]

ودلالة الحركات الإعرابيّة مسألة هامة في اللغة العربية، وقد اختلفت الآراء في دلالة الحركات الإعرابية بين القدماء والمحدثين في اللغة العربية، وأوّل من أشار إلى هذه المشكلة من القدامى الخليل بن أحمد، ولعل الجدل في دلالة هذه الحركات على المعاني الإعرابيّة وعدم دلالتها، ما دار بين تلاميذه سيبويه والكسائي، فذهب جمهورهم إلى الأول وذهب آخرون إلى الثاني.[3]

وفي العصر الحديث قام بعض الشخصيات في الوطن العربي بدعوات مشبوهة ضد اللغة العربية، فمنهم من دعا إلى اتّخاذ العامية لغة الكتابة والعلم والتعلم، وبعضهم كانت دعوتهم للتحلل من حركات الإعراب، وآخرين دعوا إلى كتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية والتخلي عن الحرف العربي، ولكن علماء اللغة العربية والحريصون عليها وقفوا لهم بالمرصاد، وبقيت اللغة العربية الفصحى صامدة وشامخة، بينما بأقل الحركات الانقلابية على اللغات اللاتينية والسنسكريتية والقوطية والقبطية والآشورية وغيرها، كانت تَضْمَحِلُّ وتنحسر وتصبح حبيسة الأديرة والكتب.

١- أنظر: لغة الإعراب، ص ١.

٢- فقه اللغة المقارن، د. إبراهيم السامرائي، ص ١١٨.

٣- أنظر المرجع السابق، ص ١٢٠.

المسألــة الخامســة: إن من خصائــص اللغة العربيــة الاشتقاق اللغوي، وقد عــرَّفَ العلماء الاشتقاق: «أخذُ صيغةٍ من أخرى مع اتفاقهما معنًى ومادةً أصليّة، وهيئة تركيب لها، ليدلّ بالثانية علــى معنــى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلهــا اختلفا حروفا أو هيئة، كضارب مــن ضرب، وحَذِرٌ من حَذِرَ (الأولى اسم والثانية فعل)»[1].

والتعريــف يبيّــن أن الاشتقــاق توليد الألفاظ بَعْضِهــا من بَعْضٍ، وهــذه الطريقة تجعل اللغة متواصلــة الأجــزاء ويتصل بعضها ببعضــ، وتغني عن عدد ضخم من المفــردات المتناثرة، وهذا الارتبــاط بين ألفــاظ اللغة العربية يقوم علــى أساس ثبات المادة اللغويّــة، فالأحرف أو الأصوات الأصليّة ثابتة في اشتقاق الصيغ اللغويّة وثبات قدر من المعنى، سواء كان بادياً ظاهراً أو مختفياً، وهــذه خصيصــة من خصائص اللغــة العربية، وتشعــر أن ألفاظها ذات صلات حيّــة، وارتباطها حيوي، وطريقتها ليست آليّة جامدة.

بينما طريقة اللغات الأخرى لا سيّما (الهندية الأوروبية) فهي طريقة آليّة أكثر منها توليديّة، وإن كان للاشتقــاق فيها نصيــب، ولكنه محدود، فإن الطريقة الغالبة فــي هذه اللغات هي طريقة النحت وإلصاق الكلمات بعضها ببعض، ومثال ذلك هذه الألفاظ في اللغة الإفرنسية (automobile, anthrolopogie, misanthrope) وفي الفارسية (روزنامة، شاهنامة، نيروز)[2].

وللاشتقاق عند العرب منزلة خاصة، فقد ذكر علماء اللغة الاشتقاق في كتبهم وبيّنوا أهمّيته وأنواعــه، وقــد ذكر أحمــد بن فارس أهمية الاشتقــاق عند العرب، وعقد باباً فــي «القول على لغة العــرب، هل لهــا قياس، وهل يُشْتَقّ بعض الــكلام من بعض» وقال: «أجمع أهــل اللغة -إلا من شذّ عنهــم- أن للغــة العرب قياســا، وأنّ العرب تشتق بعض الكلام من بعضــ»[3] ولأهمية هذا الكلام فقد نقله السيوطي.

والإشتقــاقُ من أهم وسائــل التجديد والتنويع فــي اللغة العربية، ومظهرٌ يــدلّ على حيويتها وقدرتهــا على التجديد والتطور، ودليل على أصول الألفاظ أو اشتقاقها، وحُسْن فهم اللغة العربية، ومعرفة الدخيل والمُوَلَّد والمُحْدَث والمعرَّب، ويربط المعاني بعضَها ببعضٍ ويوضح ما خَفِيَ معناه، ويجعــل ألفــاظ اللغة العربية في مجموعات ينتظم كل لفظ منها في سلكٍ جامعٍ ومعنىً يربط بينها جميعاً، وهذا يستدعي التعريف بأنواع الإشتقاق:

النــوع الأول: الإشتقاق الصغيــر، وهو ما عرّفه العلماء القدامى: «الإشتقــاقُ أَخْذُ صيغةٍ من

١- المزهر، ٣٤٦/١.

٢- أنظر فقه اللغة العربية وخصائص العربية، د. محمد مبارك، ص ٧٩.

٣- الصاحبي، ص ٥٧، وانظر المزهر ٣٤٥/١.

أخرى مع اتفاقهما...»[1].

وهـذا النوع من الاشتقاق أكثر الأنواع وروداً في العربيـة، ويَنْصَرِفُ إليه لفظ الاشتقاق عند إطلاقـه، ويشترط في هذا النوع من الاشتقاق: أن يتفق المشتق والمشتق منه في الأحرف الأصلية وفي ترتيبها:

وطريقـة معرفة تقليـب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هـي أصل الصيغ، دَلالةُ إطـرادٍ أو حروف غالباً، كضَرَبَ فإنه دال على مطلق الضرب فقط، أما ضارب ومضروب ويضرب واضـرب فكلّهـا أكثر دلالة وأكثر حروفا، وضرب الماضي مساوٍ حروفـاً وأكثر دلالة وكلّها مشتركة في «ض ر ب« وفي هيئة تركيبها وهذا هو الاشتقاق الأصغر المحتج به.

وفصائـل الكلمـات الناتجة من هـذا الاشتقاق عشر: وهـي: ١- الفعل الماضـي، ٢- الفعل المضـارع، ٣- فعـل الأمـر، ٤- اسم الفاعـل، ٥- اسم المفعـول، ٦- الصفة المشبّهـة، ٧- اسم التفضيل، ٨- اسم الزمان، ٩- اسم المكان، ١٠-اسم الآلة.[2]

النوع الثاني: الاشتقاق الكبير: هو عبارة عن ارتباط مطلق غير مقيّد بترتيب؛بين مجموعات ثلاثيـة صوتيـة ترجـع تقاليبها الستة؛ ومـا يتصرّف من كل منهـا؛ إلى مدلول واحـد مهما يتغاير ترتيبها الصوتي.[3]

وأول من قام بتقليب المواد الخليل بن أحمد قاصداً إحصاء اللغة في معجم «العين».

ومـن العلمـاء المتقدمين أحمد بن فارس عقد باباً ذاكراً التقليبـات، فسماه: «باب القلب» وهـذا النـوع من الاشتقـاق بالقلب، فقال: «باب القلـب: ومن سنن العرب القلـب، وذلك يكون في الكلمـة، ويكـون في القصّـة، فأمّا الكلمة فقولهم: «جـذب، وجبذ» و«بكل، ولبـك» وهو كثير، وقد صنّفه علماء اللغة.[4]

وقد سمى الاشتقاق الكبير ابن جني بتسمية أخرى: «الاشتقاق الأكبر» فقال: «وأما الاشتقاق الأكبـر فهـو أن نأخذ أصلاً مـن الأصول الثلاثية، فتعقد عليـه وعلى تقاليبه الستـة معنى واحداً، تجتمـع التراكيـب الستة وما يتصـرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعـد شيء من ذلك عنه، رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد».[5]

وَضَـرَب أمثلـةً بتقليـب «مـادة:« ك ل م» و «ق و ل» و«ج ب ر» وقال: «فمـن ذلك تقليب (ج ب

١- مرّ سابقاً، انظر المزهر ٣٤٦/١.

٢- أنظر: الإشتقاق وأثره في النمو اللغوي، ص ١٥.

٣- دراسات في فقه اللغة، ص ١٨٦.

٤- الصاحبي، ص ٣٢٩.

٥- الخصائص، ١٣٤/٢.

ر) فهـي -أين وقعت- للقوة والشدّة، منها (جَبَرْتُ العَظْـمَ، والفقير) إذا قوَّيْتهما وشدَدْت منهما، والجَبْر: الملِك، لقوّته وتقويته لغيره، ومنها «رجل مجرّب» إذا جرّسته الأمور ونجّذته، وقَوِيَتْ مِنَّته، واشتـدت شكيمتـه، ومن الجِراب لأنه يحفظ مـا فيه، وإذا حفظ الشيء وروعـي اشتد وقوي، وإذا أُغفـل وأهمل تساقـط ورَذِيَ. ومنها (الأبجر والبُجْـرة) وهو: القَوِيُّ السُرّة... وكـذا (ومنه البُرْج لقُوَّتِـهِ في نفسه وقُوَّة مايليـه).. وكذا (ومنها رَجَّبْتُ الرجُلَ: إذا عظّمتَه وقَوَّيْتَ أمرَه...)[٦] وهكذا مثّل بمادة (ق س و)، فتقليبانها تدور حول القوة والاجتماع، ومثّل بمادة (س م ل) والمعنى الجامع لتقليبات المادة يشتمل على الإصحاب والملاينة.[٧]

وقد مثَّلَ ابنُ جني لمِثْلِ ذلك بالعديد من المواد اللغوية وتقليباتها ولكنّها لا تخلو من التكلّف والصَّنْعَة.

وقد نقده السيوطي فقال: وهذا مما أبتدعه أبو الفتح، ابن جني، وكان شيخه أبو علي الفارسي يَأْنَسُ بـه يسيراً، وليس معتمداً في اللغة، ولا يصـحّ أن يُسْتَنْبَطُ به اشتقاقٌ فـي لغة العرب، وإنما جعلـه أبـو الفتح بيانا لقوة ساعده وردّه المخالفات إلى قَدْرٍ مشتـرك، مع اعترافه وعِلْمِه بأنه ليس هـو موضوع تلك الصيـغ، وأن تراكيبها تفيد أجناسا من المعاني مغايـرة للقدْر المشترك، وسبب إهمـال العرب وعدم التفـات المتقدمين إلى معاينة الحروف القليلة.وأنـواع المعاني المتفاهمة لا تكاد تتناهى.[٨]

النوع الثالث: الإشتقاق الأكبر: أصطلح علماء اللغة على أن الاشتقاق الأكبر هو: ارتباط بعض المجموعـات الثلاثية الصوتية ببعض المعاني ارتباطاً عاماً لا يتقيّد بالأصوات نفسها بل بترتيبها الأصلـي والنوع الذي تندرج تحته، متى وردت تلك المجموعـات الصوتية على ترتيبها الأصلي فلا بـدّ أن تفيد الرابطـة المعنوية المشتركة، سواء أحتفظت بأصواتهـا نفسها أم استعاضت عن هذه الأصوات أو بعضها بحروفٍ أُخَرَ تُقارِبُ مَخْرَجَها الصوتي أو تَتَّحِدُ معها في جميع الصفات .

ومـن أمثلـه تقارب المخرج الصوتي تناوب اللام والراء في هَدِيْـلُ الحمام وهَدِيْره، والقاف والكاف في كَشَط الجلد وقشَطَه، والباء والميم في كَبَحْتُ الفرس وكَمَحْته.

ومـن أمثله الأتفاق فـي الصفات: تناوب الصاد والسين، في سقر وصقر، وسراط وصراط، وساطع وصاطع، ومسقع ومصقع، وهكذا.[٩]

٦- أنظر: الخصائص، ٢ /١٣٥ .

٧- أنظر: المرجع السابق ١٣٦/٢ -١٣٧ .

٨- المزهر، ٣٤٧/١.

٩- أنظر: دراسات في فقه اللغة، ص ٢١٠.

وقد ألف أبو يوسف يعقوب بن السكيت كتاب: الإبدال، وقسّمه إلى خمسة وثلاثين بابا في إبدال الحروف بعضها من بعض، يقول في باب الهاء والحاء: (الأصمعى، يقال: مَدَحَ ومَدَه، وما أحْسَنَ مَدْحَهُ، ومِدْحَتَهُ ومَدْهَهُ ومِدْهَتَهُ).[1]

وقال في باب اللام والدال: المعكول والمعكود: المحبوس.[2] وفي باب السين والزاي قال الأصمعى: يقال: مكان شَأْس وشَأْزٌ، وهو الغليظ...أبو عبيد: الشازِب والشاسِب: الضامر.[3]

وقد عقد ابن جني بابا في الحرفين المتقاربين يُستعمل أحدُهما مكان صاحبه، وبيّن أنه: متى أمكن أن يكون الحرفان جميعاً أصلين لم يَسُغ العدول عن الحكم بذلك، فإن دلّ دالّ أودعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عُمِل بموجَب الدلالة وصِيْر إلى مقتضى الصنعة.

من ذلك سُكَّر طَبَرزل، وطبرزن، هما متساويان في الاستعمال، فلست بأن تجعل أحدهما أصلاً لصاحبه أولى منك بحمله على ضدّه.

وذكر قولهم: هَتَلَت السماء، وهَتَنَت: هما أصلان، ألا تراهما متساويين في التصرف، يقولون: هتنت تَهْتِن تهتانا، وهتلت تهتِل تهتالا، وهي سحائب هُتَّن وهُتَّل.[4]

أما إذا رُدّ حرفٌ في كلمتين متقاربتين إلى الآخر المقارب له، عدّ ذلك إبدالاً مثل قولهم: ما قام زيد بل عمرو، (وبَنْ عمرو)، فالنون بدل اللام، ألا ترى إلى كثرة استعمال (بل) وقلة استعمال (بن) والحكم على الأكثر لا على الأقل، وكذلك قولهم: رجل (خامِل) و(خامِن) النون فيه بدل اللام، ألا ترى أنه أكثر، وأن الفعل عليه تصرّف، وذلك قولهم: خَمَل يخْمُل خمولا. وكذلك قولهم: قام زيد فُمَّ عمرو، الفاء بدل من الثاء في (ثُمَّ)، ألا ترى انه أكثر استعمالاً.[5] وبذلك يكون ابن جني قد وفّق في بيان الابدال إذا كان واقعاً أو لا.

النوع الرابع: الاشتقاق الكبّار، أو (النحت): قال ابن فارس في باب النحت: العرب تنحت من كلمتين كلمةً واحدة، وهو جنس من الاختصار.[6]

ويذكر ابن فارس هذه المسألة أكثر من مرة، فقال: في باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله باء: إعلم أنّ للرباعي والخماسي مذهباً في القياس، يستنبطه النظر

١- كتاب الإبدال، ص ٩٠.

٢- نفس المرجع، ص ١٣٠.

٣- نفس المرجع ص ١٣١.

٤- الخصائص ٨٢/٢. الطبرزل: السكر الأبيض الصلب.

٥- الخصائص: ٨٤/٢.

٦- الصاحبي، ص ٤٦١.

الدقيـق. وذلـك أن أكثر ما تراه منه منحـوتٌ. ومعنى النحت أن تُأْخَذَ كلمتـان وتُنْحَتَ منهما كلمةٌ تكون آخذةً منهما جميعاً بحظٍّ، والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم حيعل الرجل، إذا قال: حيّ على.[١]

ويستشهـد ابن فارس فـي كتابيه مقاييس اللغة والصاحبي بالعديد مـن الألفاظ التي يراها منحوتة، ويستشهد ببيت شعر لعبد يغوث بن وقاص الحارثي، فيقول: ومن الشيء الذي كأنّه متفق عليه قولهم: «عَبْشَمِيّ» وقوله: «بتمامه».

تَضْحَكُ مِنّي شَيْخَةٌ عبشمية

كأنْ لم ترى قَبْلي أسيراً يَمانيا[٢]

فما جاء منحوتاً من كلام العرب في الرباعي أوله باء.

«بحتـر» وهـو القصير المجتمـع الخَلْق. فهذا منحوت مـن كلمتين، من البـاء والتاء والراء، وهـو من بَتَرْتُه فبُتِـر، كأنه حرم الطولَ فبُتِر خلقه، والكلمة الثانية الحـاء والتاء والراء، هو حَتَرتُ وأحتَـرتُ، وذلـك أن تُفْضِلَ على أحد. يقال: أحتر على نفسه (وعياله) أي: ضيق عليهم. فقد صار هذا المعنى في القصير لأنه لم يُعْطَ ما أعطِيَهُ الطويل.[٣]

فابـن فارس أول من صـرّح بظاهرة النحـت اللغوي ودافع عنـه وكان مذهبه فـي الرباعي والخماسي أكثره منحوت من كلمتين.

وقد نَقَل مذهب أحمد بن فارس: السيوطي، وجمع العديد من أقوال اللغويين، مثل: ابن جني وابـن السكيت والثعالبي والجوهري وابن الأعرابي وغيرهـم، ومما قال: وفي إصلاح المنطق لابن السكيت، وتهذيبه للتبريزي: يقال قد أكثر من البسملة إذا أكثر من قول «باسم الله» ومن «الهَيْلَلَه» إذا أكثر من قوله «لا إله إلا الله» ومن الحَوْلقة والحَوْقلة إذا أكثر من قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله» ومن الحَمْدَله، أي من «الحمد لله» ومن الجَعْفَدة أي «جعلت فداك» ومن السَّبْحَلة، أي من «سبحان الله»[٤].

فجمهـور علماء اللغـة العربية سمى هذا النـوع من الاشتقاق بالنحت، ولكـن عبد الله أمين

١- مقاييس اللغة، باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله باء، ٣٢٨/١.

٢- أنظر مقاييس اللغة، ص ٣٢٩/١. ملاحظة: كتبت (ترى) بالألف المقصورة ، حيث أصلها (ترأى) أبدلت الهمزة المحركة بالفتح ألفاً وحذفت الألف الثانية للجازم (لم) فبقيت الألف الأولى ، بعد تسهيل الهمزة إلى ألف ، فكتبت(ترى) ويجوز كتابتها بالألف الطويلة والمقصورة . انظر: مغني اللبيب ، لابن هشام الأنصاري ، ص (٣٦٥) .

٣- أنظر: مقاييس اللغة (بحتر) ٣٢٩/١.

٤- المزهر، ٤٨٣/١، وما بعدها.

سمـاه: (الاشتقـاق الكبّار) وقـال: (وقد أسميته الكبّـار)، لأن «الكبّار بالتثقيل أكبـر من «الكبَار» بالتخفيف، والنحت أكبر أقسام الاشتقاق.[١]

وأمـا تعريـف الاشتقاق الكبّـار أو «النحت» عند علمـاء اللغة إصطلاحاً، هـو: أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر مع المناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه، في اللفظ والمعنى معاً.

وذلك بأن تعمد إلى كلمتين أو أكثر فتسقط من كل منهما أو من بعضها حرفاً أو أكثر، وتضم مـا بقي من أحرف كل كلمة إلى الأخرى تؤلف منها جميعاً كلمة واحدة فيها بعض أحرف الكلمتين أو الأكثر وما تدلان عليه من معانٍ.[٢]

أمـا موقف مجمع اللغـة العربية في القاهرة من ظاهرة النحت فلا يـزال موقف المتردد[٣] فـي قياسيّته، ولا يـزال معظم أعضائه يرون الوقوف منه عند حدّ السمـاع، رغم أن قلّة من هؤلاء الأعضـاء قـد برهنوا في بحوثهم على ضـرورة جعل النحت قياسيّا لنستخدمـه في المصطلحات والعلوم الحديثة ولا سيما المصطلحات الطبّيّة.[٤]

ولكن هذا الموقف من ظاهرة النحت لم يمنع مجمع اللغة العربية في القاهرة أن يتخذ قراراً جديداً من نوعه حين وافق أعضاء المجلس على جواز النحت عندما تُلجئ إليه الحاجة والضرورة، ففـي جلسته الثانية عشرة للمؤتمر في ٢١/فبراير/١٩٤٨م، أصـدر قراره العلمي بجواز استعمال الألفاظ المنحوتة.[٥]

وقد استعمل مجمع اللغة العربية المصري النحت بعد أن أقره رسمياً.. في المعجم الوسيط، ففـي مـادة «بَسَمَ» : «بَسْمَـلَ» بَسْمَلَةً : قال: بسم الله الرحمن الرحيـم، أوكتبها[٦] وفي مادة أخرى ذكر: حَوْقَل: حَوْقَلَةً وحيقالاً... فلان: قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.[٧] و«الحَضْرمِيُّ»: المنسوب إلى حضرموت (ج) حضارمة.[٨]

ونظـام النحـت مفقود، ولا نكاد نلحظ نظامـاً محدداً نشعر معه بما يجـب الاحتفاظ به من حـروف وما يمكن الاستغناء عنه، ولهـذا اختلف علماء اللغة القدامى فـي قياسيّته، ومعظمهم لم

١- الاشتقاق، عبد الله أمين، ص ٣٩١.

٢- أنظر المرجع السابق.

٣- إلى أن ألف الدكتور إبراهيم أنيس- وهو عضو مجمع اللغة- القاهرة- كتابه من أسرار اللغة.

٤- من أسرار اللغة العربية، ص: ٨٩ -٩٠ .

٥- أنظر مجلة مجمع اللغة العربية ١٥٨/٧.

٦- الوسيط، مادة «بسمل» ٥٧/١.

٧- نفس المرجع، مادة «حوقل»: ٢٠٨/١.

٨- نفس المرجع ، مادة «حضرمي» ١٨١/١.

يجـد القـدر الذي روي من أمثلة النحت كافياً، ولهذا تحرّجوا في قياسه واعتبروه من السماع، فلم يبيحـوا للمولديـن أن يتوسعوا في نسج النحت، ومع هذا فقد اعتبـره ابن فارس قياسيّا، وعَدّه ابن مالك في كتابه التسهيل قياسياً، والخليل يستشهد به في معجمه.[1] وكما مّر سابقاً أن العديد من العلماء استعملوه في معاجمهم وكتبهم.

والاشتقـاق عامـةً على أيِّ صورة كان، ظاهـرة رائعةٌ في اللغة العربية، وهـي توليد الألفاظ اللغويـة، فاستمرت ظاهـرة التجديد اللغوي للعربية، ولم ينقطع تدفق تنـوُّع دلالة الألفاظ وابتكار معـانٍ جديدة لم تُعْرِفُ في العصر الجاهلي، وأُصْبَغَ لها دلالات جديدة في العصور التالية له حتى حاضرنا.

ونتيجة لذلك فإنّ اللغة العربيّة طيّعة الألفاظ، حيويّة في تناولها، وهي دائمة التطور والتنمية.

أزاهير العربية:

في عصر الفصاحة الجاهلي نَشِطَتْ الحيويّة اللغوية وتميّز عشرات من عباقرة الفن العربي فـي ذلك العصر، اللفظ والأسلـوب والميزان والقافية وسحر التعبير ممثلاً بالشعر العربي الفريد مـن نوعه بيـن اللغات قاطبة، فأخـذ بالألباب. صـوّروا المحسوسات والوجدانيـات، وتحدثوا عن الحـب وجنونـه، والهجاء والمدح، والشجاعة والحنوّ والغضب، إلـى غير ذلك العديد من العناوين والموضوعـات، فبرز عباقرة فـن الشعر العربي، أمثال: الأعشى وزهيـر وطَرَفَة وعَنْتَرَة، وغيرهم كثير، فكانوا ملوكَ الأساليب اللغوية وفنونها، استقوا كلمتهم من لغتهم الزاهرة العربية الباهرة.

فاللغة العربية اتسعت لجميع مناحي الحياة: عالَم الشهادة والغيب، فكثرت موادُّها، واشتقاق الألفاظ جعلها تساهم في التفكير اللغوي، فتُمَكِّنُ بذلك الشاعرَ والسَّاحِرَ، والخطيبَ والأديبَ، من أَدَاءِ أفكاره بطريقة رائعة، إذ كانت اللغة العربية تُسْعِفُهُ بأن يستعملها كما يهوى تفكيره ووجدانياته وشعوره، فلغة العرب أمثولة اللغات لا يحيط بها إنسان عادي، قال الإمام الشافعي: «ولسان العرب أَوْسَعُ الأَلْسِنَةِ مذهباً، وأكثرُها ألفاظاً، ولا نَعْلَمُه يحيط بجميع عِلْمِهِ إنسانٌ غيُر نبيّ».[2]

وفـي العصـر الحديث طُبِـعَ العشرات من دواين الشعـراء العباقرة، حملوا فـن الشعر، إلى جانب حفظهم لألفاظ العربية ما أمكنهم ذلك.

وفـي هذا الجو الأدبي العامر أُنزل القـرآن الكريم بلغة عربية مُبِيْنَة، فبَهَرَ القلوبَ والأفئدةَ، بلغته الفصيحة وتصويره البديع وإعجازه الفريد، فحُفِظَتْ العربيةُ ونَشِطَتْ ونَمَتْ واكتسبَتْ معانيَ

١- إنظر من أسرار اللغة، ص ٨٧.

٢- الرسالة، للشافعي، ص ٤٢.

إسلاميةً جديدة لم تستعمل سابقاً.

هذه المقدمة الصغيرة تستدعي الحديث لمعرفة قُدْرة اللغة العربية على التعبير، وإمكاناتها الضخمة والمتناسقة على أدبها الرفيع، وتَحَمُّل نزول القرآن الكريم- بها باعتبار أنَّه نَصٌّ عربي- وبإعجازٍ لغوي مُبِين، ومن أهمّ هذه المسائل ما يلي:

أولاً: عـدد أبنيـة اللغـة العربية: لقد برع علماء اللغـة في جمع ألفاظها مـن صدور الأعراب وإحصائها، وكان أول من قام بطريقة إحصاء ألفاظ العربية بطريقة حسابية صحيحة الخليل بن أحمـد حيـن عمد إلى وضع كتابه العين، حيث ألّفه على طريقـة التقليبات للمواد اللغويّة، ملاحظاً كونهـا ثنائيـة، ثلاثية، رباعيـة، خماسية، صحيحـة أو معتلة، مجردة أو مزيـدة، وهكذا،.... عند إحصاء الألفاظ العربية التي يمكن أن تتكون على طريقة الأبنية عقلاً، ملاحظاً أن يعدّ المستعمل والمهمـل منها، فتبين له أنّ عَدَدَ المباني التي تتألف منها اللغة العربية عددٌ هائلٌ، إذ «ذكر حمزة الأصبهانـي في كتاب الموازنة فيما نقله عنه المؤرخون قال: ذكر الخليل في كتاب «العَيْن» أنَّ مبلغ عـدد أبينة كلام العـرب المُسْتَعْمَل والمهمل علـى مراتبها الأربع، من الثنائـي والثلاثي والرباعي والخماسـي مـن غير التكـرار، اثنا عشر ألـف ألف وثلاثمائة ألـف وخمسـة آلاف وأربعمائة واثنا عشر.....»[1].

والخليـل بن أحمد في مقدمـة «العين» ذكر كلام العرب أنه مبني علـى أربعة أصناف: على الثنائي، والثلاثي، والرباعي، والخماسي. ومثّل لهذه الأبنية، المجرّدة والمزيدة، وتحدّث عن أبنية الاسم والفعل والحرف، والإبدال، وصفات الحروف، والمضاعف، والمعتل، والمُثَقَّل والمخفّف، ثم بيّـن كيف يتصرف الثنائي علـى وجهين، والثلاثي على ستة أوجـه، والرباعي يتصرف على أربعةٍ وعشرين وجها، والكلمة الخماسية تتصرف على مِائةٍ وعشرين وجهاً.[2]

وعندما صَنَّفَ الجوهري مُعْجَمَه جمع فيه ما صحّ عنده على لسان العرب، فلم يذكر الحُوْشِيَّ والمتـروك وأمثالهما، وقال: «قد أودعـت هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة التي شرّف الله منزلتها»[3]. فبلغ عدد جذور المواد اللغوية عنده أربعين ألف مادة لغوية قابلة للاشتقاق.

أمـا مجد الديـن الفيروز آبادي لمـا رأى إقبال النـاس على كتاب الصِّحـاح للجوهري أراد أنْ يؤلِّـف معجمـا على منوالـه ويزيد المواد اللغوية، فهـو يرى أنّ الجوهري قـد ضيّع نصف اللغة - والجوهـري قصـد من تأليف الصحاح: مـا صحّ من اللغة- فقال في مقدمـة الكتاب: «وأسميته

١- الزاهر،١/٧٤.

٢- أنظر مقدمة معجم العين، ١/٥٣، وما بعدها.

٣- تاج اللغة وصحاح العربية- المقدمة، ١/٣٣.

القاموس المحيط، لأنه البحر الأعظم، ولما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهريّ وهو جدير بذلك غير أنّه فاته نصف اللغة أو أكثر، إما بإهمال المادة، أو بترك المعاني الغريبة النادَّة، أردتُ ان يظهر للناظر بادئ بدء فضل كتابي هذا عليه».[1] وقد افتخر الفيروز آبادي كثيراً بعلوّ كعب القاموس المحيط، وبلغ عدَدُ موادِّه اللغويةِ ستين ألفَ مادة مستعملة.

وقد ألف ابن منظور كتابه «لسان العرب» وجمع خمسة كتب بين دفتيه، ويرى أنه لم يجد في كتب اللغة أجمل من «تهذيب اللغة» لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ولا أكمل من «المحكم» لأبي الحسن على بن إسماعيل بن سيده الأندلسي- رحمهما الله- وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق... ويرى أن أبا نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، قد أحسن ترتيب مختصره، أي: «تاج اللغة وصحاح العربية» فخفّ على الناس أمره وتناولوه، ولكنه صحّف وحرّف... فأتيح له الشيخ أبو محمد بن بري فتتبع مافيه وصحح غلطاته وخرّج لقطائه، ثم أضاف كتاب «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير، ليستفيد منه القارئ بألفاظ غريب الحديث، فقد جاوز ابن الأثير في كتابه- كما يرى ابن منظور- حدّ الجودة. فبلغ عدد مواد كتاب لسان العرب ثمانين ألف مادة مستعملة.[2]

والأعداد المذكورة لمواد اللغة العربية ليست نهائية، فابن منظور لم يأخذ من كتاب: الجيم، وديوان الأدب، وشمس العلوم، والبارع، وغيرها من الموسوعات اللغوية، ولا من الكتب التي تحدثت عن الألفاظ الطبيّة، والزراعيّة والعسكريّة والسياسيّة... وغيرها من الكتب القديمة أو المحدثة، والناظر في المعجم الكبير لمجمع اللغة المصري، يدهش لا تساع مواده العلمية وما سيؤول إليه هذا المعجم من عدد مواده.

ثانياً: دقة معاني الألفاظ: ألّف علماء اللغة بطرق متنوعة كتبهم، فألفوا فيما اتفق معناه وأختلف لفظه، وأتفق لفظه وتعددت المعاني، وفي الترادف والأضداد والإبدال، ودوران المادة حول معنى واحد وغير ذلك، فكل مؤلف تناول زاوية من نواحي اللغة يكشف عن مقدرة اللغة العربية، وقد ألّف ابن سيده كتابه المخصص، والثعالبي فقه اللغه، وأبو عبيد الغريب المصنف، وغيرهم بطريقة عرفت بالمعاجم أو الكتب اللغوية المعنوية، وهي تبحث عن دقائق المعاني الحسيّة والمعنويّة على تنوّعها، فقد تميّزت العربيّة بدقّة أسلوبها وقدرتها على التعبير، فاللغة الحيّة تتمكن أن تعبّر عن جميع ما يخطر ببال المتكلم بطلاقة، فهي تحمل مخزوناً لغويّاً يتيح للأديب والشاعر والخطيب أن يعبّر عما يجيش في خاطره من مسائل، ولا تقف عائقاً أمام تصوُّرِه.

يقول الثعالبي: فصل في ترتيب الحبّ وتفصيله: أوّلُ مراتبِ الحبِّ الهوَى، ثم العلاقة، وهي

١- القاموس المحيط، للفيروز بادي، المقدمة، ٣/١.

٢- أنظر: لسان العرب، المقدمة، ٢/١-٣.

الحـبُّ اللازمُ للقلب. ثـم الكَلَفُ وهو شِدَّةُ الحبِّ. ثم العِشْقُ، وهو اسم لما فصَلَ عن المقدارِ الذي اسمـه الحُـبُّ. ثم الشَّغفُ، وهو إحـراقُ الحبُّ القلبَ مع لذّة يجدها. وكذلـك اللوعَة واللاعِجُ، فإن تلـك حرقـة الهوى، وهذا هـو الهوَى المُحرِق. ثم الشَّغَـفُ، وهو أن يبلغَ الحُـبُّ شِغَافَ القلبِ، وهي جلـدة دونه، وقد أُقرِئنا جميعاً: شَغَفَها حُبّا وشَعَفَها. ثم الجَوَى، وهو الهوى الباطن. ثم التيْمُ، وهو أن يستعبـده الحـبُّ، ومنه سُمّيَ تَيمُ الله، أي: عبد الله، ومنه رجـلٌ متيّمٌ. ثم التّبْلُ، وهو أن يُسقِمَهُ الهوى، ومنه رجل متْبُولٌ. ثم التدْليهُ، وهو ذهابُ العَقل من الهوى، ومنه رجل مُدْلَهٌ. ثم الهيُوم، وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه، ومنه رجل هائم»[1].

وقـال ابن فارس فـي الألفاظ التي تستعمل فـي الإبل على تنـوع معانيها:«العير: الإبل تحمل أمتعـة التجّار. والرِّكاب: تحمـل الزيت خاصة. واللطيمـة: التي تحمل الطيـب. والعسْجَدِيَّةُ: التي تحمـل البُرَّ. والخُرْثِيّةُ: التي تحمل الأسقاط.[2] والزَوْمَلَةُ: التي تحمل الطعام. والظُّعُنُ: التي تحمل الهوادج والنساء. والأحفَاض: التي تحمل البيوت وأمتعتها»[3].

وقال ابن فارس في باب الشرب: «العَبُّ: الشرب من غير مصٍّ. والتَغَمُّرُ: الشرب قليلاً قليلاً. وشـربَ فما بقيـت في جَوْفِهِ هَزْمةٌ[4] إلا امتـلأت. وشرب غِشاشٌ: قليل. وتَشَافَفْـتُ الإناءَ: شربتُ شفافتَهُ، وهي البقيةُ تبقى منه... وتصابَبْتُ الإناء: إذا شربتُ صُبابتَهُ، وهي مثل الشفافة.

ويقـال :اِشـربْ واتشِح، أي: اِرْوَ. ويقال: نَشَحَ: إمتلأ ونَصَـحَ ورَوِيَ. ونضحَ: شرب دون الرِّيِّ. ورجل صبحان غبْقانٌ من الصَبوح والغَبوق».[5]

فقد كان ابن فارس وكثير من علماء اللغة يرون أن معنى أحداث الأفعال متباينة، ولا تتطابق ويوجـد فروق دقيقة لكل لفظ يلحظه العربي الفصيح، ونقل السيوطي عنه: إنَّ في قَعَد معنىً ليس في جَلَس، ألا ترى أنَّا نقول: قام ثم قعد ... ثم تقول: كان مضطجعاً فجلس: فيكون القعودُ عن قيام، والجلوسُ عن حالة هـي دون الجلوس، لأن الجَلْس المرتفع، والجلوس إرتفاعٌ عما هو دونه... وإنما نقولُ: إنَّ في كل واحدٍ منها معنىً ليس في الآخر»[6].

ومـن يـرى مباينة الألفاظ أبو هـلال العسكري، فقد بنى كتابه على ذلـك، قال:« الفرق بين البعـث والإرسـال أنه يجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر لحاجـة شخصية دونك ودون المبعوث إليه،

١- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، ص ٢٦٧.

٢- لأن الخرثي هو أثاث البيت وأسقاطه.

٣- الفرق، لابن فارس، ص١٠١.

٤- هزوم الجوف: مواضع الطعام والشراب.

٥- متخير الألفاظ، أحمد بن فارس، ص ١٩٨.

٦- انظر المزهر، ١/٤٠٤-٤٠٥.

كالصبي تبعثه إلى المكتب: فتقول بعثته، ولا تقول أرسلته، لأنّ الإرسال لا يكون إلا برسالة وما يجري مجراها[1].

والعرب تستعمل اللفظ الواحد لمعانٍ متعدِّدة، فيُعرف المعنى من سياق الكلام، قال مقاتل بن سليمان البلخي: «تفسير الدّيْن على خمسة وجوه:

فوَجهٌ منها: الدّيْن يعني التوحيد، فذلك قوله في آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[2] يقول: إن التوحيد عند الله الإسلام، وكقوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[3] يعني التوحيد.....

والوجه الثاني: الدِّين، يعنى: الحساب، فذلك قوله ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[4] وقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾[5] يعني: يوم الحساب....

والوجه الثالث: الدِّين: يعنى الحكم، قال تعالى: ﴿..... وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾[6] يعني: رأفة في حكم الله الذي حكم الزاني....

الوجه الرابع: الدِّين: يعنى الذي يدين الله به العباد، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾[7] يعني الإسلام.

الوجه الخامس: دِين: يعني مِلَّة، قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[8] أي: دين إبراهيم»[9].

فكتاب الأشباه والنظائر عريق في أصول اللغة وعلوم القرآن الكريم، وقد درج البلخي أن يذكر اللفظ ويقرر الوجوه المستعملة في القرآن الكريم. وأوّل كلمة بيّنها في كتابه «الهدى»، وقال: تفسير الهدى على سبعة عشر وجها، ويذكر وجوهها على السياق السابق، فالهدى: البيان، والثبات، والدّين، والإيمان، والدعاء، والرسل، والكتب، والمعرفة، والنبي، والقرآن الكريم،

١- الفروق، لأبي هلال العسكري، ص ٢٨٣.

٢- سورة آل عمران، الآيه ١٩.

٣- سورة الزمر، الآيه ٢.

٤- سورة الفاتحة، الآيه ٤.

٥- سورة الصافات، الآيه ٢٠.

٦- سورة النور، الآية ٢.

٧- سورة التوبة، الآية ٣٣.

٨ سورة آل عمران، الآيه ٩٥.

٩- انظر: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، ص ١٣٣.

والتوراة، والإسترجاع، والحجّة، والتوحيد، والسنّة، والإصلاح، والإلهام والإرشاد[1].

فالعربيــة زاهرة بدقــة معاني مفرداتها، تعبّر عن المدلولات الحسيّــة والوجدانيّة والمعنويّة بألفاظ مناسبة للمدلول.

ثالثــا: التعريــب: اللغــة لا تعيش وتحيا بعيدة عــن جيرانها مــن اللغات، فمن سنــن اللغات اقتراض الألفاظ فيمــا بينها. واللغة حيَّةٌ بأسلوبهــا وتراكيبهــا، وإذا أرادت الأمة المحافظة على لغتها حافظوا على ما تميزت به الجملة، وألفاظ اللغة عُرْضَةٌ للإستبدال بألفاظ مشهورة جديدة. وقد وقع التعريب من اللغات الأعجمية، وتحدّث به العرب على منهاج لغتهم.

وكلمــة (المعرَّبُ) هــو اللفظ الأعجمي الــذي تكلّمت به العــرب واشتُهِر فعرَّبتــه واستعملته بأساليبها وضمّنَته جُمَلَها تحت شروط التعريب اللغوي.

وإذا كانت اللغة العربية تأثرت باللغات المجاورة فقد كان تأثيرها باللغات المجاورة مباشراً، فحيثمــا وُجِــدَ الإســلام كانت معه العربيــة تؤثّر في اللغات التــي اتصلت بها، فتأثــرت بها اللغات المجاورة لها قاطبة، ووصل الأمر أن قضت العربية على بعض اللغات، المجاورة لها: مثل القبطية، والنبطيــة، والسنسكريتيّة، والآشورية، وسنن اللغات عند التحامها التأثُّر والتأثير، فتأثَّرت العربية باللغات المجاورة، ودخل العديد من الألفاظ الأعجمية حوض اللغة العربية، حيث تداولها الشعراء والفصحــاء والعامة، وسجل علماء اللغة هذه الظاهرة فــي موسوعاتهم وكتبهم اللغوية وما وجدوه على ألسنة الناس.

قال أبو منصور الأزهري:[2]«وقال الليث: التُّنورُ عَمَّتْ بكل لسان وصاحِبُه تَنّارٌ».

قــول من قال: إنَّ التنُّور عمَّت بكل لسان يدل على ان الأصل في الاسم عجميّ فعرّبَتْها العرب فصــار عربيّــا على بناء فعُّــول، والدليل على ذلك أن أصل بنائه تَنَــر، ولا يُعرَفُ في كلام العرب – لأنــه مهمل– وهو نظيرُ ما دخل في كلام العرب مــن كلام العجم، مثل الدّيباج والدينار والسندس والإستبرق وما أشبهها، ولمَّا تكلمت بها العرب صارت عربية».[3]

وابن منظور أثبت كلام الأزهري في لسان العرب لأهمّيّة هذه المسألة،[4] والأزهري عند ابن منظور ثَبْتٌ ثقةٌ غيْرُ متّهَم، ويَسْتَحْسِنُ ما أوقع في «تهذيب اللغة».

وإذا قــال الأزهري: «قال الليث« فإنه يعنى به كتاب العين، إذ قال: «فمن المتقدمين (الليث

١- انظر: المرجع السابق، ص ٨٥- ٨٩.

٢- أبو منصور الأزهري ولد سنة ٢٨٢هـ وتوفي سنة ٣٧٠هـ . انظر اللوحات الأولى من كتاب تهذيب اللغة.

٣ تهذيب اللغة «تنر» ٢٦٩/١٤ .

٤ أنظر لسان العرب «تنر» ١٦٢/٥.

بن المظفر) الذي نَحَل الخليل بن أحمد تأليف «العين» جملة لينَفِّقه باسمه، ويرغّب فيه مَنْ حوله» وقال : رواه الثقات عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي الفقيه.[٥]

فقد تقرر وجود الدخيل في المعاجم اللغوية في أهمّ الكتب اللغوية العربية عند المتقدمين.

وعقد أحمد بن فارس (المتوفى سنة ٣٩٥ هـ.) بابا بعنوان: «باب القول في اللغة التي نزل فيها القرآن الكريم وأنه ليس في كتاب اللّه جَلّ ثناؤه شيء بغير لغة العرب»[٦].

وفي هذه المسألة عدّة أقوال - لن نناقشها في بحثنا- والذي يعني البحث أنه أوقع ضمن الباب ألفاظاً وردت في القرآن الكريم يقول عنها بعض العلماء: إنّها ذات أصول أعجمية، فقال: «أما لغات العجم في القرآن، فإن الناس أختلفوا فيها: فرُوِيَ عن ابن عباس وعن مجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم من أهل العلم-: أنهم قالوا في أحرف كثيرة إنها بلغات العجم، منها: طه، واليَمّ، والطُّور، والربانِّيون، فيقال: إنها بالسريانية».

ومنها قوله جلّ وعزّ: الصراط، والقِسْطاس، والفردوس، يقال: إنها بالرومية.

ومنه قوله: «كمِشْكَاةٍ»[٧] و«كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِه»[٨] يقال: إنها بالحبشية.

وقوله: «هيتَ لك»[٩] يقال: إنها بالحورانية.

قال: فهذا قول أهل العلم من الفقهاء»[١٠]

وقد ذكر الجواليقي آراء العلماء والأمثلة، ونقل عن أبي عبيد أنه قال: وذلك: أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثم لفظتْ به العرب بألسنتها، فعَرَّبَتْه، فصار عربيّاً، بتعريبها إياه، فهي عربية في هذه الحال، أعجميةُ الأصل»[١١].

وعلماء اللغة وضعوا علاماتٍ لمعرفة المُعَرَّب، استنبطوها من ملاحظاتهم لألفاظ اللغة العربية، فتُعرَفُ عُجْمَة الاسم بوجوه:

أولاً: النقل: بأنّ ينقل ذلك أحد أئمة اللغة.

الثاني: خروجه عن أوزان الأسماء العربية، نحو: إبْرَيْسِمْ، فإن مثل هذا الوزن مفقود في

٥- أنظر تهذيب اللغة، المقدمة، ١/٢٨.

٦- الصاحبي، ص ٤١ .

٧- سورة النور، الآية «٣٥».

٨- سورة الحديد، الآية «٢٨» .

٩- سورة يوسف، الآيه «٢٣»

١٠- الصاحبي، ص ٤٤.

١١ المعرب، ص ٣٥. وأنظر: المزهر ١/٢٦٨- ٢٦٩

أبنية الأسماء في اللسان العربي.

الثالث: أن يكون أوله نون ثم راء، نحو:نرْجس، فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية.

الرابع: أن يكون آخره زاي بعد دال، نحو: مهندز، فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية.

الخامس: أن يجتمع فيه الصاد والجيم، نحو: الصولجان، والجصّ.

السادس: أن يجتمع فيه الجيم والقاف، نحو: منجنيق.

السابع: أن يكون خماسياً أو رباعيا عاريا عن حروف الذّلاقة، وهي: الباء، والراء، والفاء، واللام، والميم، والنون، فإنه متى كان عربيا فلا بدَّ أن يكون فيه شيء منها، نحو: سفرجل، وقُذَعْمِل، وقِرْطَعْب، وحَجْمَرش.[1]

وسنن العرب إذا تكلموا بأعجمي حوّلوا أصواتها إلى أقرب صفات العربية، قال ابن دريد: حروف لا تتكلم العرب بها إلا ضرورة، فإذا أضطرّوا إليها حوّلوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها، فمن تلك الحروف: الحرف الذي بين (الباء والفاء) مثل: پور، إذا أضطروا قالوا: فور. ومثل الحرف الذي بين (القاف والكاف) و(الجيم والكاف) وهي لغة سائرة في اليمن، إذا أضطروا إليه قالوا (كَمل) بين الجيم والكاف، ومثل الحرف الذي بين (الياء والجيم) وبين (الياء والشين) مثل غلامي. فإذا أضطروا قالوا: غلامج، فإذا أضطرّ المتكلم قال غلامش- في المذكر: غلامج، وفي المؤنث غلامش- وكذلك ما أشبه هذا من الحروف المرغوب عنها.[2]

فالتعريب له قواعد وأصول، لم تنتشر بين عامة العرب، ولم يهتم علماء اللغة قديما بها، وقد أقرّ مجمع اللغة العربية- القاهرة- العديد من القرارات في التعريب، منها قرارات في كتابة الأعلام الأعجميّة بحروف عربيّة، ونشرت هذه القرارات في مجلته- الجزء الرابع سنة ١٣٥٦ (ص ١٨-٢١)- وإن كانت هذه القرارات قد نقدها الأدباء، إلا أنها خطوة رائدة للمجمع، منها:

يكتب العلم الإفرنجي الذي يكتب في الأصل بحروف لاطينية (لاتينية) بحسب نطقه في اللغة الإفرنجية (هكذا في الأصل أولعلها: العربية) ومعه اللفظ الإفرنجي بحروف لاطينية (لاتينية) بين قوسين في البحوث والكتب العلمية، على ما يقره المجمع في شأن كتابة الأصوات اللاطينية (اللاتينية) التي لا نظير لها في العربية.

بعض القبائل والبلاد الإسلامية لها لغة خاصة لا يستعملونها في الكتابة، وإنما يكتبون باللغة

١- أنظر المزهر ١/ ٢٧٠ ، وقارن مع المعرب، ص ٥٩.

٢- جمهرة اللغة- المقدمة- ١/ ٤-٥.

العربية. ولكن لهم أعلاماً بعض أصواتها لا يطابق الحروف العربية، وقد وضعوا لها إشارات لتأدية هـذا النطق، وفي بعضـ الأحيان تكون هذه الإشـارات متعدّدة للصوت الواحد، فـرأى المجمع أن يختار أحد هذه المصطلحات في كتابة الأعلام. وقد وافق المجمع على كتابة الحرف«جَافْ« كافا (هكذا في الأصل، والصحيح: چيما) بثلاث نقاط.

الأسماء الأجنبية النصرانية الواردة في كتب التاريخ تكتب كما عرّبها نصارى الشرق. فمثلاً يقـال: بطرس (PETER) وبقطـر (VICTOR) وبولص فـي (PAUL) ويعقوب (JACOB) وأيوب في (JOB) وهكذا.[1]

واللغـة العربيـة لم يُدَوِّنهـا الأقدمون قبل الإسـلام، وإنما نُقِلت سماعـا ونطقا عن الأعراب الخلّص، ولمَّا نزل القرآن الكريـم ثبّت الظواهر اللغوية، واستنبط علماء اللغة من القرآن الكريم والشعـر والنصوص المعتبرة: النحـو والصرف والعروض وعلوم البلاغة وغيـر ذلك، ولم يهتمّوا بوضع قواعد للتعريب واضحة المعالم، ومجمع اللغة العربية المصري وضع عدة أجزاء من معجمة الكبيـر وقد ذخر بالألفـاظ الأجنبية فكتبت باللاتينيّـة- حسب أصل الكلمـة المعرّبة- والأحرف العربية، وبذلك نستطيع أن نقول: يجب أن تُنْشَر ثقافة التعريب من اللغات الأعجمية إلى العربية.

رابعاً: الحداثة اللغوية: لم تكن اللغة العربية عاجزة عن التعبير، فهي لغة واسعة ونامية، لها مـن الخصائص، والمميـزات مالم تمتلكها لغة أخرى، واللغة العربيـة قريبة من جيرانها اللغات، وتأخـذ منهـم الألفاظ وتصوغها بما يتـلاءم مع شروط التعريب والدخيـل والمولد، ويشهد لذلك العصـر الجاهلي، وما بعده حتـى عصرنا الحاضر، قال ابن منظور: والجُـلُّ: الياسمين، وقيل هو الـورد: أبيضه وأحمره وأصفـره، فمنه جبليّ، ومنه قرويٌّ، واحدته جُلّه، حكاه أبو حنيفة، قال: وهو فارسيّ، وقد دخل في العربية، والجُلُّ في شعر الأعشى في قوله:

وشاهِدُنا الجُلُّ والياسمين والمُسْمِعاتُ بقُصُّابها.

هو الورد، فارسي معرب.[2]

وقـال الجواليقـي: والجُمَانُ: خَرَزٌ مـن فضة، أمثـال: اللؤلؤ، فارسيٌّ معـرّب، وقد تكلمت به العربُ قديما، وقد جعل لبيد الدرَّةُ جمانة، فقال:

وتُضِئُ في وَجْهِ الظلام منيرةً كجُمَانَةِ البَحْرِيِّ سُلّ نِظَامُها[3]

١- انظر المعرب -المقدمة- ص ١٧-١٨. علما أن: يعقوب وأيوب ليسا أسماء نصرانية. وهي أسماء سمي بها قبل عيسى- عليه السلام. وانظر المعجم الكبير، المقدّمة، صفحة (ف).

٢- لسان العرب، (جلل) ١٢٨/١٣، والبيت في المعّرب ص ١٦٣.

٣- البيت في معلقة لبيد بن ربيعة العامري، من معلقته بشرح الزوزني رقم ٤٣. أنظر شرح المعلقات السبع، ص٢٠٧، والمعرّب ص١٦٣.

ويدل الخلاف الواقع بين العلماء عن وجود المعرب والدخيل والمولد في القرآن الكريم عن أنتشـار هذه الظاهرة في العصر الجاهلي والاسلامي، قال الجواليقي أخبرنا جعفر بن أحمد عن عبد الباقي بن فارس عن ابن حَسْنُون عن ابن عُزَير في قوله تعالى: «طوبى لهم» قال: قيل «طوبى» اسم الجنّة بالهندية. وقيل «طوبى» شجرة في الجنة.[١]

وقال الزجاج:«الفردوس»: أصله رومي أُعْرِبَ، وهو البستان، كذلك جاء في التفسير... قال تعالى: «الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون[٢].

فالجواليقـي جمـع من المعاجم وكتب اللغة عـدداً كبيراً من الألفاظ قال عنهـا أنها معرّبة، وتبعـه شهـاب الدين الخفاجي في كتابه: «شِفَـاءُ الغَلِيل فيما في كلام العرب مـن الدَّخيل»، مثبتا الألفـاظ الدخيلة من القرآن الكريم والشعر العربي الفصيح، مبيّنا أصل الكلمة- رومية، فارسية، هندية- ويقول في مقدّمة الكتاب: واعلم أن التعريب نَقل اللفظ من العجميّة إلى العربية والمشهور فيـه التعريـب، وسماه سيبويه وغيره إعرابـاً، وهو إمام العربية، فيقال حينئـذ: معرّب، وقد يعرّب لفظ ثم يستعمل في معنى آخر غير ما كان موضوعا له[٣].

فقد كان سيبويه عقد بابا فيما أُعْرب من الأعجميّة[٤]، وآخر بعنوان: بابُ اطِّراد الإبدال في الفارسية[٥].

وقـد أدرك العلامة عبد القادر المغربي في القـرن التاسع عشر الميلادي أهميّة تطور اللغة العربيـة ونموهـا مسايرةً للعلوم والفنون والصناعـات الحديثة، فطفق يدعو إلـى الحداثة اللغوية والتوسيع في الاشتقاق والتعريب والمولد والدخيل، فطبع كتاب «الاشتقاق والتعريب» طبعته الأولى فـي مصـر سنة ١٩٠٨م، وأشار إلـى أن الاستفادة اللغوية على وجه الكمـال ما لم يقم من فضلاء العلماء فئة باسم (مجمع لغوي) تأخذ على عاتقها أمر هذه التنمية فتفتح أبوابها، وتيسّر أسبابها، ضمـن شروط وقيود تصـون سلامة اللغة من الضياع وقواعدها من الانهيـار وأساليبها الفصحى من الانحطاط.

فكانـت الحاجة ملحّـة إلى مجمع لغوي يصون لغتنا المحبوبة عن هذا الخطر الذي يتهددها وينتشلها من الهوّة التي نخشى أن تواقعنا، وفي سنة ١٩١٨م أُنْشئ المجمع العلمي العربي بدمشق، وفي سنة ١٩٣٤م أنشئ مجمع فؤاد الأول للغة العربية بمصر.[٦]

١- المعرب، ص٢٧٤.

٢- سورة المؤمنون، الآية١١. أنظر: المعرب، ص٢٨٨.

٣- انظر شفاء الغليل، المقدمة، ص٣٣.

٤- الكتاب، ٤١٢/٢.

٥- انظر الكتاب ٤١٣/٢.

٦- أظر: الأشتقاق والتعريب، لعبد القادر بن مصطفى المغربي، ص١.

وقد كان عبد القادر المغربي على طريق سويّ، فمن يتحمل مسؤولية إقرار الألفاظ المحدثة، ومن سيراقب المعاجم الجديدة من الأخطاء، ورَتْل النظريات اللغوية والدخيلة، ومن سيحاور ويُقارِعُ أصحاب المؤلفات المليئة بالأخطاء اللغويّة والتاريخية، والعلمية والأدبيّة، وما كتاب (المنجد في الأدب والعلوم والأعلام) إلا صورة واضحة عن الفوضى اللغويّة والتاريخيّة والأدبيّة في تأليف المعاجم اللغويّة، فقد ألّف إبراهيم القطّان كتابه: «عثرات المنجد في الأدب والعلوم والأعلام» وموضوع هذا الكتاب نقدٌ وتصحيحٌ لأخطاءٍ ومعلومات محرَّفة وردت في كتاب «المنجد».[1]

وكانت قد صدرت الطبعة الأولى من كتاب «المنجد» سنة ١٩٥٦م، وقد تكشّف لإبراهيم القطان: أخطاء فادحة، وتحريف مذهل، وتشويه لحقائق تاريخية يكاد يكون مريبا، وتجمّع لديه عدد كبير من هذه العثرات، وصدرت مقالات العلامة الكبير عبد الله كنون[2] إنتقد في أربعٍ وعشرين مقالة إثنتين وسبعين وستمائة مادة.

وصدرت ثلاثُ مقالاتٍ للأستاذ الكبير منير العمادى في مجلة «مجمع اللغة العربيّة «و» مجلة المعرفة».

وفي سنة ١٩٦٩م. صدر تقرير عن أضرار «المنجد والمنجد الأبجدي» للأستاذ سعيد الأفغاني، رئيس قسم اللغة العربية في جامعة دمشق، ثم صدر مقالان للأستاذ المحقق عبد الستار فرج السيد، بيّن فيهما بعض نواقص الكتاب، وما فيه من عورات ومثالب.[3]

والمجامع اللغوية كانت تصدّرت المسؤوليّة اللغويّة، وقد صدر عنها العديد من الموسوعات والكتب اللغويّة والأدبيّة، فكان على صاحب كتاب المنجد وأمثاله عرض الكتاب على المجالس اللغويّة قبل طبعه لينال ثقة أحد المجالس اللغويّة العربيّة، فهي المرجع الثابت في عصرنا.

ولم يكن مجمع اللغة العربية المصري جامداً في اتخاذ قرارات مهمة ليجتاز ظاهرة التطور اللغويّ، بل تعامل بجديّة، فقد نظر إلى التطور الهائل لمختلف العلوم البحتة: الطبية والزراعية والجيولوجية والفلكية... وغيرها، فأدرج المصطلحات العلميّة في طيات معجمه الكبير، ولتخَطّي مشكلة الأحرف ونطقها الصوتي وضع المجلس رموزاً واصطلاحات جديدة للأحرف الدخيلة، ليصار إلى نطق الألفاظ سليمة كما يلفظها أصحاب اللغات الأخرى، فكتب الكلمات الساميّة بحروف لاتينية متلوة بالنطق العربي التقريبي، وهذه نماذج لبعض الأحرف:

الباء الشديدة b الباء الرخوة b الجيم العبرية الشديدة g الجيم العبرية الرخوه ġ الجيم

١- انظر عثرات المنجد، لإبراهيم قطان، ص٩.

٢- عبد الله كنون: الأمين العام لرابطة العلماء في المغرب العربي.

٣- انظر: عثرات المنجد، ص١٠-١١.

العربيــة المعطشــة j الدال d الذال d الحاء h الخاء h الطاء ṭ الكاف الشديدة k الكاف الرخوة k الصاد ṣ الضاد d الظاء t الشين š التاء t الثاء t.[١]

ولـم يكتـف المجمع بوضـع رموز الأحـرف والأصوات بـل وضع رمـوزاً للحـركات وأصوات الليّـن الأجنبية[٢]، وتوسـع في متطلبات الحداثـة وسمح بالاشتقاق من الجامـد، فذكر الاشتقاق مـن الجامـد: وتوسَّعَ فيه كلما دعت إليـه الحاجة تطبيقاً لقرارات المجمع، فقيـل مثلاً: أَكْسَدَ من «الأكسِيد» و«أيَّن» من «الأيونات»[٣].

وبذلـك يكون مجمـع اللغة المصـري وضع نفسه فـي مركـز المسؤولية، وتولى زمـام اللغة العربية، والمطّلع على المعجم الكبير يسرّه التوجه اللغوي في جمع اللغة العربية والدخيلة والمولده والمحدثـة، وتأصيل الألفاظ وردّها إلى جذورها، وكَتَبَ الألفاظ الأعجمية إلى جانب العربية بعدة لغـات، مثال ذلك: الآبنوس (يونانية ĕBevog) إبْنوس = ebenus في اللاتينية. وفي المصرية القديمة: هـَب ن = hoḅnïn. هُبْنيم في عبريّة التوراة: حزقيا ١٥:٢٧)[٤].

واللغـة العربية ما زالت تحظى بالعنايـة والرعاية، وستبقى بإذن لله تعالى مزدهرة ونامية، ومحطّ أنظار العلماء والأدباء، وصدق الله القائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٦].

١- انظر: المعجم الكبير، ١/ صفحة (ط ، ي).

٢- انظر: المعجم الكبير، ١/ صفحة (ك).

٣- انظر: نفس المرجع ، ١/ صفحة (ف).

٤- انظر: نفس المرجع، ص: ٥.

٥- الحجر، الآية ٩.

٦- يوسف، الآية ٢.